القيم الإسلامية والضبط الاجتماعي
(دراسة تحليلية)

إعداد

الباحثة / سلوى محمد التابعي الجريتلى

إشراف

أ.د/ راشد صبرى القصبى
أستاذ أصول التربية ووكيل الدراسات العليا والبحوث بكلية التربية وعميد كلية رياض الأطفال
جامعة بورسعيد

أ.م.د/ عبد السلام الشبراوى
أستاذ الإدارة التعليمية المساعد ورئيس قسم التربية المقارنة والإدارة التعليمية

المقـــدمـــة

تعبر القيم الإسلامية عن علاقة الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى ، ودلالات سلوك الإنسان في الوفاء بمهام الاستخلاف وتعمير الكون ، قال الله تعالى " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً .....".

ومن ثم فإن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله ، والرسالة التي ينبغي أن يقوم بها الإنسان لتحقيق هذه الغاية هي الوفاء بمهام الاستخلاف وتعمير الكون.

فالإنسان هو المحور الذي دارت حوله كل الفلسفات وهو الهدف في جميع الديانات ، وإليه عهد الله سبحانه وتعالى أمر الخلافة في الأرض ، لذا فإن المسلم مطالب بأن يكون لديه الإطار الفكري الإسلامي الذي يحتكم إليه في تقدير المغزى الاجتماعي والخلقي للسلوك ، وأن تكون لديه نظرة شمولية تتسم بالإدراك الواعي والفهم العميق لروح الإسلام ، وأن يكون سلوكه في الحياة غايات إسلامية وأن يجمع كل طاقاته ونشاطاته في حركة واحدة نحو تحقيق الذات الإسلامية.

ولقد جاء الإسلام (خاتم الرسالات السماوية) ليقود الحياة ويمسك زمامها ، وليضع أمام الإنسان منهاج حياة متوازنة ومستقرة " الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ {١} " [سورة إبراهيم:١]. (١)

والمتأمل لما ورد في القرآن الكريم وتدبر آياته يمكن أن يصنف فعاليات الشخصية المسلمة إلى أربع مستويات : (٢)

- **علاقة الشخصية المسلمة بالخالق سبحانه وتعالى في إطار مفهوم العبودية لله .**
- **علاقة الشخصية المسلمة بالكون في إطار مفهوم الوفاء بمهام الاستخلاف .**
- **علاقة الشخصية المسلمة بالمجتمع والآخرين في إطـــار مفهـــوم القـــيم والأخـــلاق الإسلامية .**
- **علاقة الشخصية المسلمة بذاتها في إطار مفهوم صدق النوايا والضمير .**

ولقد جاءت القيم الإسلامية منظمة للسلوك الإنـــساني فـــى توافـــق مـــع الواقـــع الاجتمـــاعي ومتطلباته. ومن هنا فإن الإيمان بالقيم الإسلامية له مقتضى عمل ينبغي أن يتحقق في واقع الحيـــاة الدنيا ، وهو إدارة شئون الحياة كلها بما يتفق وروح الإسلام .

وعليه فإن عناية القيم الإسلامية بعملية الضبط الاجتماعي والسلوك الإنساني تكون فى مستويين وهما :

الأول : يرتبط بالقيم الخلقية المطلقة المستمدة من الدين .

الثاني : يرتبط بالمضمون الاجتماعي والخلقي للسلوك بمقتضى هذه القيم فى المجتمع (كما تحـــدده الواجبات الإنسانية) ومدى قدرة الفرد على فهم المضمون الصحيح لهذه القيم بما يتفـــق وطبيعـــة الظروف الاجتماعية . (٣)

فالهدف الذي تسعى إليه القيم الإسلامية ، هو إحداث وإنشاء هيئة راسخة في نفس الإنسان ، بحيث تتجه به نحو العمل الصالح .. والعمل الصالح كما هو واضح من خلال سورة العصر وغيرها من السور والآيات القرآنية ، يشمل كل مكارم الأخلاق ، سواء ارتبطت تلك الأخلاق بتهذيب النفس من قبيل : الصدق ، والإخلاص ، والإيثار ، والوفاء ، وحب الخير للناس ، والتعاون ، وصلة الرحم وغيرها. (٤)وبهذا المعنى فالمسلم مطالب بأن يكون لديه الإطار الفكري الإسلامي الذي يحتكم إليه في تقدير المغزى الاجتماعي والخلقي للسلوك ، وتتضح من خلاله ضوابط السلوك الخلقي والاجتماعي ومقومات الحياة الاجتماعية السليمة.

مشكلة الدراسة :

ساعد غياب النزعة الدينية لدى الإنسان المسلم على اضطراب مفهوم القيم فى ذهنه وانحراف سلوكه عن معايير الأخلاق الإسلامية ، إما تطرفا فى فهم الدين أو بعداً عنه ، وترتب على ذلك ظهور الكثير من الأفكار والمعتقدات المختلفة بتعاليمها وقيمها المنافية لقيم الإسلام ومعتقداته . فالتطرف فى جوهره حركة فى اتجاه القاعدة الاجتماعية أو الخلقية ، ولكنها حركة يتجاوز مداها الحدود التى وصلت إليها القاعدة وارتضاها المجتمع. (٥)

وقد دعت بعض الكتابات فى الوقت الحاضر بالحاجة إلى تحديث المجتمع وتطويره بما ييسر له الاندماج فى بيئة النظام العالمى ، إلا أننا ينبغى أن نكون على وعى بأن تسويق مفهوم الحداثة والمعاصرة فى غيبة ركيزة أساسية من مفهوم الأصالة (أصالة القيم المميزة للهوية العربية والإسلامية) لابد وأن تظهر مشكلات التغريب . وعند هذا المستوى نكون قد فقدنا فى شبابنا وأفقدناهم إرادة العمل وقيم الانتماء ، وكذلك نكون قد هيأنا لهم سبل التبعية. (٦)

لذا تسعى هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية :

١- ما المداخل الرئيسية للقيم الإسلامية التربوية فى تحقيق الضبط الاجتماعى ؟

٢- ما مؤشرات القيم الإسلامية للضبط الاجتماعى لدى الأفراد ؟

٣- ما الوسائل اللازمة لتحقيق الضبط الاجتماعى لدى الشباب المسلم ؟

أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية :

١- توضيح مفهوم الضبط الاجتماعي والعوامل المؤثرة فيه ، ووسائل تنميته .

٢- الكشف عن المعالم الرئيسية لطبيعة العلاقة بين القيم الإسلامية التربوية والضبط الاجتماعى.

٣- الوقوف على بعض مؤشرات المضامين القيمية الإسلامية للضبط الاجتماعى فى سلوك أفراد المجتمع.

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية الدراسة فيما يلى :

- **الإضافة إلى المكتبة البحثية في مجال الربط بين القيم الإسلامية والضبط الاجتماعي.**
- **إلقاء الضوء على بعض مظاهر السلوك غير المرغوب به والذى أصبح جزء من تكوين شخصية الشاب المسلم بعد أن تباعدت أصول ومقومات الأخلاق الإسلامية .**
- **محاولة نشر المبادئ والأفكار التي تعين الفرد المسلم على أن يدافع عن نفسه بإكسابه تصور إسلامي واضح يمكنه من المواجهة على مستوى فكري وعقلي وعن إقناع مدعم بالدليل بدلا من اعتماده على العواطف الدينية.**

منهج الدراسة :

تستخدم الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي ، وذلك لتناسب طبيعة هذا المنهج مع طبيعة الدراسة الحالية ، حيث يقوم المنهج الوصفي بوصف الوضع الراهن وتحديد الظروف والعلاقات بين الوقائع ، ولا يقتصر البحث الوصفي على جمع البيانات وتبويبها فقط بل يتضمن قدرا من التفسير لهذه البيانات. (٧)

مصطلحات الدراسة :

القيم الإسلامية: مجموعة من الصفات الإيجابية الراقية مضبوطة بضوابط الشريعة الإسلامية تؤدي بالمتعلم إلى السلوكيات الإيجابية في المواقف المختلفة التي يتفاعل فيها مع دينه ومجتمعه وأسرته في ضوء معيار ترتضيه الجماعة لتنشئة أبنائها وهو الدين والعرف وأهداف المجتمع ، وتصبح هذه القيم تربوية كلما أدت إلى النمو السوي لسلوك المتعلم ، وكلما اكتسب بفضل غرسها في ذاته مزيداً من القدرة . على التمييز بين الصواب والخطأ ، وبين الخير والشر. (٨)

الضبط الاجتماعي : مجموعة الإجراءات والأساليب التي تقوم بها وسائل الضبط داخل المجتمع، بهدف فرض النظام الاجتماعي والقيمي على أفراد المجتمع، وحمايتهم من الاتجاه للانحراف.(٩)

الدراسات السابقة_:

وتنقسم الدراسات السابقة التي تناولت العلاقة بين القيم الإسلامية والضبط الاجتماعي إلى دراسات عربية ودراسات أجنبية ، وقد روعي ترتيب هذه الدراسات من الأقدم إلى الأحدث.

أولاً: الدراسات العربية_:

وتتمثل هذه الدراسات في :

١- دراسة عبد السلام الشبراوى (١٩٩٢).

بعنوان " القيم التربوية في القرآن الكريم " (١٠)

هدفت الدراسة إلى النظر في القران الكريم بمنظور تربوي ، لتحرى فيه عمق التأثير، ونستنبط منه بعض القيم التربوية ومحاولة الوصول إلى نسق قيمى يستند ويرتكز إلى التصور الإسلامي

الشامل للوجود والإنسان والكون ، وذلك للإسهام في الوصول إلى نظرية تربوية إسلامية شاملة ومتكاملة ، لمواجهة القصور الذي يعانى منه واقعنا التربوي ، والذي رجع في أهم أسبابه إلى عدم وضوح الرؤية الإسلامية الصحيحة .

واستندت الدراسة إلى المنهج الوصفي حيث إنه أنسب مناهج البحث لموضوع الدراسة حيث إنه يتناول وصف ظواهر أو أحداث وتقرير حقائق أو وقائع والظروف الخاصة بها كما هى علية وقت الوصف.

وقد توصلت الدراسة للعديد من النتائج منها:

١- استنباط مائتين وتسع وسبعين قيمة من آيات السور الثلاث (سورة المؤمنون – سورة النور – سورة الفرقان) ، والتي بلغ عددها مائتين وخمسين آية ، وهذا دليل على ثراء الآيات القرآنية ، واشتمالها على كثير من القيم السامية .

٢- أفردت الدراسة إنفراد كل سورة من السور الثلاث بمجموعة متميزة من القيم ، وهذا يؤكد على أهمية العكوف على تحليل باقي سور القرآن الكريم لاستجلاء قيمه السامية.

٣- كشفت الدراسة عن شمول القيم المستنبطة من كل سورة على حده لجميع الجوانب التي تضمها فئات التحليل الست .

٤- أبرزت الدراسة استحواذ فئة القيم الفردية على أكبر عدد من القيم المستنبطة وهذا ما يفسر حرص القرآن على شخصية الفرد .

٥- أظهرت الدراسة زيادة القيم الاجتماعية عن القيم الأسرية مما يؤكد على أهمية الجماعة المسلمة وتفانى الفرد المسلم في خدمتها مما يظهر أن الأخوة في الدين أقوى من أخوة النسب في الإسلام.

٦- أوضحت الدراسة من خلال القيم المستنبطة والتي غطت مجالات الحياة المختلفة من فردية إلى أسرية واجتماعية واقتصادية وسياسية وتربوية ، أن الإسلام منهج حياة متكامل وليس مجرد طقوس وشعائر تعبدية فقط إنما هو نظام مجتمع – وقيم القرآن الكريم تجتمع في تكامل وموائمة ليس لها نظير .

٧- ألقت الدراسة الضوء على بعض الخصائص التي تتميز بها القيم المستنبطة من السور الثلاث، هذه الخصائص التي يمكن إجمالها في (الشمول – التكامل – الواقعية – الاتساق – الوضوح – المرونة – التوازن)

٨- أظهرت الدراسة من خلال المسح للدراسات السابقة ندرة الدراسات المتعلقة بتحليل النصوص القرآنية بغرض استنباط قيم القرآن الكريم السامية .

وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في استخدام المنهج الوصفي ، وأيضا في محاولة البحث في القيم التربوية الإسلامية ، والتي تعد محوراً أساسياً وجوهرياً في الفلسفة التربوية

الإسلامية اللازمة لبناء الإنسان المسلم في مجتمعاتنا الإسلامية في الوقت الحاضر .

وتختلف في أن الدراسة الحالية تحاول توضيح العلاقة بين القيم الإسلامية والضبط الاجتماعي ومحاولة إكساب الأفراد الإطار القيمي الإسلامي للاحتكام إليه في تقدير المغزى الاجتماعي والخلقي للسلوك.

٢- دراسة محمود يوسف محمد محمود (٢٠٠١)

بعنوان "التربية الإسلامية ومواجهة التحديات الثقافية فى عصر العولمة . (١١)

هدفت الدراسة إلى الوقوف على التحديات الثقافية التى تواجهها الدول الإسلامية وتوضيح دور التربية الإسلامية فى مواجهة هذه التحديات .

واستندت الدراسة إلى المنهج الوصفي حيث يعرض البحث التحديات الثقافية التي تواجه المجتمع الإسلامي في عصر العولمة ثم يوضح دور التربية الإسلامية في مواجهة هذه التحديات .

وقد توصل الباحث للعديد من النتائج منها:

١- تحاول أمريكا وحلفاؤها من الدول الغربية السيطرة على النظام العالمي الجديد وفرض ما تراه من سياسات ، وتواجه الدول الإسلامية في عصر العولمة العديد من التحديات المختلفة .

٢- كشفت الدراسة أن الهوية الثقافية الإسلامية تتعرض للغزو في عصر العولمة ، وقيمنا تتعرض للغزو والقهر من جانب محاولة تعميم نمط الحياة الغربية على دول العالم .

٣- بينت الدراسة أن اللغة العربية تواجه تحديات في عصر العولمة تتمثل في محاولة الهجوم عليها واتهامها بأنها قاصرة عن تحقيق التقدم العلمي ومواكبة العصر.

٤- أوضحت الدراسة أن من التحديات الخطيرة التي تواجهها الدول الإسلامية في عصر العولمة أن الدول الغربية تحاول تشجيع ثقافة الأقليات داخل المجتمعات الإسلامية وإحياء اللهجات المحلية بهدف إضعاف الدول الإسلامية .

٥- أوضحت الدراسة أن الدول الغربية تحاول فرض فكرها العلماني الذي يفصل بين الدين والدولة على المجتمعات الإسلامية مما يوجب على المؤسسات التربوية المختلفة أن توضح أن الإسلام لا يفصل بين الدين والدولة ولكنه منهج شامل لكل مجالات الحياة سواء مادية أو معنوية .

٦- أوضحت الدراسة أهمية قيام المؤسسات التربوية المختلفة بتعريف المتعلمين بالحضارة الإسلامية وهذا يؤدى إلى تكوين الانتماء بالأمة والثقافة الإسلامي.

وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في استخدام المنهج الوصفي لعرض واقع التربية الإسلامية في المجتمع الإسلامي وعجزها عن مواجهة تحديات العولمة ،وتختلف الدراسة عن الدراسة الحالية في أن الدراسة الحالية قد تناولت دور الجامعة كمؤسسة تربوية في مواجهة

إشكاليات العولمة .

وتختلف الدراسة عن الدراسة الحالية في أنها تناولت دور القيم الإسلامية في مواجهة تحديات العولمة أما الدراسة الحالية فقد اهتمت بضبط سلوك الأفراد استنادا إلى مرجعية القيم الإسلامية لإصلاح المجتمع الإسلامي.

ولقد تم الاستفادة من هذه الدراسة في إدراك خطورة التحديات الثقافية التي يواجهها المجتمع الإسلامي بما لها من اثر على ضعف العلاقة بين قيم الإيمان وفعاليات السلوك .

٣- دراسة محمد حسن أحمد (٢٠٠٤)

بعنوان " العقيدة الإسلامية ودورها في التربية " دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية" (١٢)

هدفت الدراسة إلى الكشف عن دور العقيدة الإسلامية في تربية المؤمن صاحب الشخصية السوية الذي يمتلك شخصية علمية ، وأيضا الكشف عن دور التربية الإسلامية في تربية المسلم ، ودور العقيدة الإسلامية في تكوين المجتمع الحر العادل . ولقد قام الباحث برصد وتحليل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين دور العقيدة في تربية الفرد والأمة .

من أهم نتائج هذه الدراسة :

١- العقيدة الإسلامية تربى المسلم تربية خلقية فهي تدعو إلى كمال الخلق وتزكية النفس .

٢- العقيدة الإسلامية تربى المسلم تربية اجتماعية تتبدى في الحرص على إقامة مجتمع متماسك قائم على العدل والرحمة .

٣- العقيدة الإسلامية تربى المسلم تربية شاملة متكاملة ، فتنمى الروح بالعبادة والذكر ، وتنمى العقل بالعلم والمعرفة ، وتربى الجسم بالغذاء والرياضة .

٤- العقيدة الإسلامية تهيئ المؤمن ليربى نفسه على الاعتدال و النظرة الموضوعية للأمور .

٥- العقيدة الإسلامية توفر للمسلم الصحة النفسية وتحرره من الخوف والقلق على حياته ومستقبله من خلال الإيمان بالله الذي يغرس في النفس الطمأنينة .

وتتفق الدراسة مع الدراسة الحالية في التأكيد على أن المنهج الإسلامي هو أفضل المناهج التربوية فهو منهج شامل ومتكامل يحرص على تربية الشخصية السوية القوية الطموحة.

وتختلف الدراسة السابقة عن الدراسة الحالية في أن أهمية الدراسة السابقة إبراز دور العقيدة الإسلامية في التربية من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية ، أما الدراسة الحالية فتركز على إبراز أهمية القيم الإسلامية لضبط سلوك الأفراد ومحاولة تفعيل العلاقة بين القيم الإسلامية وفعاليات سلوك الشخصية المسلمة.

ويمكن الاستفادة من الدراسة السابقة في تحديد التطبيقات التربوية لأركان الإيمان وأثرها على الشخصية المسلمة .

ثانيا : الدراسات الأجنبية :

وتتمثل هذه الدراسات في :

١- دراسة (Bilton – Tony) (١٩٩٧)

بعنوان " القوة و الضبط الاجتماعى ومعوقاتها " . [١٣] تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على أثر الضبط الاجتماعى على المجتمع ومدى القوة والتماسك الذى يحدثه فى المجتمع ، كما هدفت الدراسة إلى الوقوف على المعوقات التى تؤدى إلى الخلل فى النظام الاجتماعى .

ولقد استخدم الباحث المنهج الوصفى فى محاولة التعرف على معوقات الضبط الاجتماعى ، ووصف توقعات سلوك الأفراد فى ظل الضبط الاجتماعى .

أهم نتائج الدراسة :

١. أن محاولة الأفراد الالتزام بالمعايير السائدة فى المجتمع والتى يرتضيها لأعضائه هى محاولة منهم لتحقيق الضبط الاجتماعى .

٢. يتأثر سلوك الأعضاء فى المجتمع بالتيارات السائدة به وما تفرضهم عليه المصلحة الخاصة لذلك يحدث ما يسمى بالخلل فى الضبط الاجتماعى .

٣. إذا قام الحكام بالالتزام بالقيم والمعايير الاجتماعية ولم ينحرفوا عنها يؤدى هذا إلى رضا المحكومين وبالتالى تقل عمليات الصراع الموجودة بالمجتمع .

٤. العوامل السياسية والاجتماعية ليست بمعزل عن بعضها البعض فكل منها يؤثر ويتأثر بالآخر .

وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية فى ضرورة الالتزام بالقيم الصحيحة السائدة فى المجتمع لضمان وجود ضبط اجتماعى لأفراده .

وتختلف عنها فى أن الدراسة الحالية ترفض عدم التسليم بأية قيمة فى المجتمع مادامت تتعارض مع القيم الإسلامية حتى ولو ارتضاها كثير من أفراد المجتمع.

ولقد تم الاستفادة من هذه الدراسة فى إدراك أهمية الضبط الاجتماعى فى الحد من الصراعات والخلافات بين أفراد المجتمع وبين الحكام والمحكومين .

٢- دراسة (Ablaziz Sachedina) (٢٠٠٢)

بعنوان : " الشباب المسلم فى القرن الواحد والعشرين ". [١٤]

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إلقاء الضوء على واقع الشباب المسلم فى القرن الواحد والعشرين والمشكلات التى تواجههم .

ولقد استخدم الباحث المنهج الوصفى فى محاولة لعرض واقع الشباب المسلم والتحديات التى تواجهه منذ مطلع القرن الحادى والعشرين ومدى قدرتهم على مواجهة هذه التحديات .

ومن أهم نتائج هذه الدراسة :

١. أن الخلل الحادث فى المجتمع الإسلامى هو نتيجة لعجز الشباب المسلم على مواجهة التحديات الموجودة حولهم والتى تصيبهم بالعديد من الاضطرابات .
٢. التغلب على الصراعات الموجودة فى نفوس الشباب والتى تصيبهم بحالة من عدم الاتزان سوف يؤدى إلى وجود ضبط اجتماعى بشكل أكبر داخل المجتمع الإسلامى.
٣. الأسرة والمدارس والجامعات ودور العبادة مسئولة عن إكساب الشباب المسلم القيم المرغوبة والتى يرتضيها الدين الإسلامى الحنيف وتعاليمه .

وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية فى وجود العديد من التحديات التي تواجه الشباب والتي تصيبهم بحالة من عدم الاتزان.

وتختلف عنها فى اهتمام الدراسة الحالية بتنمية القيم الإسلامية في نفوس أفراد المجتمع لضمان حدوث ضبط اجتماعي وبالتالي القدرة على مواجهة اضطراب سلوك أفراد المجتمع الإسلامي.

ولقد تم الاستفادة من هذه الدراسة من خلال عرض لبعض التحديات التى تواجه الشباب وإلقاء الضوء على المؤسسات المسئولة عن إكساب الشباب الثقة بالنفس والاهتمام بالأدوات اللازمة للحياة الاجتماعية السليمة .

محاور الدراسة :

سوف تتناول الباحثة الدراسة الحالية في ثلاثة محاور الأول : العلاقة بين القيم الإسلامية والضبط الاجتماعي ، الثاني ويتضمن سلوك الفرد المسلم بين التزام المنهج ومتطلبات الموقف الاجتماعي ، والثالث ضبط سلوك المسلم استنادا إلى مرجعية القيم.

المحور الأول : العلاقة بين القيم الإسلامية والضبط الاجتماعي.

صدر الدين السماوي بعيدا عن الإنسان ومن قوة فوق بشرية، لذا فالأوامر الدينية بمثابة واجبات وعلى الإنسان إن يلتزم بها في سلوكه. فواجبات الدين وواجبات الأخلاق تشترك في خاصية واحدة هي أنها أعمال تلزمنا خلقياً، وقد ساعد ذلك على التقريب والمزج بين عناصر الدين ومقومات الأخلاق، واتحدت كذلك الأفكار الخلقية بالقواعد الدينية. وكذلك فإن جوهر القيم الخلقية يكمن في الدين، فالأخلاق في ارتباطها بالقيم الدينية تشكل قوة فاعلة مؤثرة في سلوك الأفراد وفى تصرفاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية. فالدين هو ذلك القوة الخفية التي يحملها الإنسان ، ويظهر أثرها في سلوكه (بأقواله و أفعاله) وعلى التزامه ، فبها تكون سيطرة الفرد على أهوائه وغرائزه ، وبذلك يتحقق

الضبط الذاتي للفرد ، مع الإيمان بوجود الرقيب الإلهي الذي لا يغفل ولا ينام ، قال تعالى : " مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " (ق : ١٨). (١٥)

وللدين الإسلامى دور في التنمية الاجتماعية الشاملة وضبط السلوك فهو عقيدة الأمة ومنهج حياتها وله معها تجربة ماضية ، نقبها من حياة البداوة والسبات والتمزق إلى حياة الحضارة والحركة والوحدة، صاغها في ظل عقيدته وشريعته وحضارته صياغة جديدة ، وتحولت إلى قائدة أعظم تنمية اجتماعية وحضارية في نواحي الحياة كلها شهدها العصر الوسيط ،وانتهى إلى بناء الحضارة الإسلامية التي أدت دورها العظيم في خدمة العالم الإسلامي كله والإنسانية جمعاء فالأهداف الروحية والاجتماعية والاقتصادية التي حددها الإسلام والقيم السلوكية والأخلاقية التي شرعها تعد أسساً ومنطلقات فاعلة للنهوض بالمجتمع الإسلامي ودفعه إلى طريق التنمية الشاملة . ولان البناء الاجتماعي يظل بمثابة جهاز عضوي يتأثر كل عضو منه بالآخر، من خلال عمليتي " التعاون " أو " التنافر " اللتين تعكسان أثرهما على الجهاز المذكور.وإذا كانت بعض الاتجاهات الأرضية تنظر إلى المجتمع ككل من خلال كونه شبيها بالجهاز العضوي ، فإن التصور الإسلامي لهذه العضوية يظل موضحاً تأكيداً لا شك فيه ، حيث إن التوصيات الإسلامية تأخذ هذه العضوية بعين الاعتبار مادامت السماء التي أبدعت المجتمع البشرى قد رسمت له طرائق سلوكه المفضية إلى تحقيق التوازن من خلال النظم الاجتماعية التي تترابط فيما بينها بحيث إذا اختل أحد النظم كالأسرة مثلا ترك تأثيره على النظم الأخرى . (١٦)

ولذلك كان لابد للضبط أن يترسخ أولا في أعماق النفس من خلال الالتزام الداخلي "انضباط الذات – إحياء الضمير"، حتى يصبح ذا أثر ودلالة على سلوك الفرد ، والدين كأحد أهم أشكال الضبط الاجتماعي ، يحقق لنا وبفاعلية هذا الأثر ، ولذا كان لزاماً أن نمنح هذا الشكل حقه من البحث والاهتمام، ولعل ما تعيشه الأمة في هذا العصر يزيد من حجم الاهتمام بهذا اللون من ألوان الضبط الاجتماعي ، كما أننا لا نتجاوز إن قلنا أن جميع أشكال الضبط الأخرى تدخل تحت لوائه. أو بمعنى آخر لها أصول تنبثق من الدين وبالأخص الدين الإسلامي . (١٧)

لا شك أن وظيفة الضبط التي يمارسها الدين الإسلامي على أفراد المجتمع تعد وظيفة مزدوجة ، فهي وظيفة لتحديد السلوك الصادر من أفراد المجتمع باتجاه معايير السلوك المتعارف عليها في المجتمع، والأخرى إرشاد النسبة القليلة باتجاه التقويم الصحيح للسلوك ضد الانحرافات التي تظهر في كل مجتمع.(١٨)

لذلك فإن الدين الإسلامي قد نجح فى رسم العلاقة بين الفرد كإنسان ينتمي إلى المجتمع الأكبر، والى الآخرين الذين يشكلون بمجموعهم المجتمع الكلى ،وأستطاع أن يقلص النزعات بين الفرد ونفسه وبين الفرد والآخرين من خلال استخدام الوسائل التي يمارسها الدين في الارتقاء بسلوك الفرد وتنظيم تكوينه النفسي الداخلي الذي يؤدى به حتماً إلى الراحة النفسية الخالية من اضطرابات

العصر وكثرة مثيراته وتعدد مصادره الخارجية منها والداخلية التي تنشأ من الوسوسة ثم الصراع الذي يؤدى إلى فقدان الاتزان الانفعالي. (١٩)

والسلوك الأخلاقى في نظر الإسلام هو كل سلوك خير يقوم به الإنسان بإرادة خيره ولغاية خيره. والإنسان الأخلاقى هو الإنسان الخير في حياته الظاهرة والباطنة ،لنفسه ولغيره على حد سواء . كما أن المبادئ الأخلاقية التي جاء بها الإسلام والتي ينظم بها الحياة الأخلاقية تشمل شتى سلوك الإنسان لحياته الخاصة ولحياته مع غيره أيضا. وتلك المبادئ الأخلاقية تحمل قيماً مختلفة فنجد هناك قيماً اجتماعية وعلمية وإنسانية وسياسية واقتصادية وما إلى ذلك. وتلك القيم ليست نسبية وإنما هي ثابتة لا تتغير ،لأن الحقائق ثابتة فى ذاتها وكذلك قيمها ثابتة .وتتضح تلك الحقيقة لدارس الأخلاق إذا فرق بين القيم، الأخلاقية الأساسية والعادات الأخلاقية . ولكن الذي يتغير تقييم الناس لها من حيث إعطائهم قيمة كثيرة أو قليلة بحسب الظروف والأحوال . (٢٠)

فالدين والأخلاق كلاهما يهدف لبيان الخير ويهدى إليه ،ويعنى بيان الشر وتبغيضه إلينا، والأخلاق هي مجموعة القواعد التي بها نعمل الخير ونتجنب الشر،أو مجموعة قواعد السيرة الطيبة المحمودة التي يقبلها الناس عامة في كل عصر وزمان . (٢١)

لذلك كان من الطبيعي أن تكون الصلة وثيقة بين القيم والأخلاق، وبالتالى بين القيم الإسلامية والضبط بل كان من الطبيعي أن تكون الأخلاق تابعة للدين ، فالغاية من قيم الدين وخاصة الدين الإسلامي ،إصلاح الإنسان والإنسانية وليست القيم إلا هذا. وقد خلق الله سبحانه وتعالى النفس البشرية وهى تحمل نوازع الخير والشر ، قال تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {٧} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا {٨} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {٩} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا {١٠})." الشمس٧-١٠ " وجعل سبحانه الفلاح والخيبة مرهونة يسعى الإنسان لتزكية نفسه أو الانحطاط بها إلى مهاوى الرذيلة ،والإنسان منذ بدء الخليقة خير بين طريقين طريق الخير أم طريق الشر ،ومن ذلك تبدأ رحلي المعاناة التي يعيشها الإنسان بين نوازع الخير والشر في نفسه ولابد له أن يستعين عليها بما وهبه الله من نعم حتى يختار طريق الهداية .قال تعالى (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ {٨} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ {٩} وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)." البلد٨:١٠ ". (٢٢)

المحور الثاني : سلوك الفرد المسلم بين التزام المنهج ومتطلبات الموقف الاجتماعي :

تنطلق الشخصية المسلمة في مستويات علاقتها المختلفة ؛من التزامات تقتضيها العقيدة الإسلامية ، وتواجه هذه الشخصية في حياتها كثيراً من المواقف الاجتماعية والأخلاقية التي تحتم عليها الاختيار بين عدد من البدائل المختلفة لذا فإنها من منطلق التزامها الإسلامي تمتلك المعيار الذي في ضوئه تتمكن فى تحديد اختيارها السلوكي ؛ وهذا المعيار هو ابتغاء مرضاة الله تعالى " فالسلوك الإسلامي من أجل غاية معينة في موقف ما ينطوي على غاية أخرى يبتغى بها وجه الله تعالى . وعلى ذلك فان سلوك الفرد المسلم إزاء موقف بعينه، وتحقيقا للغاية الأخيرة؛ إنما ينطوي

على تفاعل ومداولة بين المكونات الداخلية له العقل والقلب، ونتاج هذا التفاعل هو الذي يحدد دور الإرادة في تحقيق السلوك. (٢٣)

والدين الإسلامي " دين يوائم بين ما تتطلبه الروح وما يتطلبه الجسد معا ويهتم بتنظيم العلاقة الإنسان بربه وضميره من خلال العقيدة والعبادات ، ويهتم كذلك بتنظيم العلاقات بين الإنسان والإنسان من خلال التشريع والمعاملات " وعلى ذلك فإن الإنسان المسلم هو الغاية في الإسلام ، ومن أجله كانت تلك النظم والقوانين لتضمن له سعادة الدنيا بتحقيق العدل والخير سعادة الآخرة بجزاء من الله على حسن أدائه لرسالته . والأخلاق الإسلامية لا يكفى المعرفة بها ، وإنما الجانب المعرفي فيها لا يكفى إلا لمجرد توجيه السلوك الإنساني وترشيده وضبطه بحيث يجد الإنسان لكل فعل خلقي أساس من الإقناع العقلي والإجماع البشرى ، ثم يجد الإنسان نفسه وخاصة في إطار اجتماعي إسلامي أمام الفعل الذي يجد فعله، والسلوك الذي يجب أن يسلكه وكأنه اختيار إنساني وصرف وإبداع عقلي محض .

إن هذه المبادئ الكلية العامة جاءت شاملة لكل أصول الحياة الإنسانية وجوانبها المختلفة وتحمل في مضمونها عناصر التطور والتقدم. ومن ثم " فإن حصر القيم الإسلامية وعطائها الحضاري بفترة تاريخية معينة يتنافى أصلا مع خلودها ". (٢٤)

ولذا فقد قرر الإسلام ثلاثة ضوابط اجتماعية يشكل مجموعها منهجا متكاملا لاستقرار المجتمع، منها ما سبق الإشارة إليه وهو الضابط الذاتي في داخل النفس الإنسانية ،يتحقق إذا تمكنت تعاليم الشريعة من نفس الفرد بحيث تشكل ضابطا خلقياً يحاكم الإنسان نفسه بنفسه ،والضابط الثاني هو ضابط اجتماعي مصدره المجتمع ،يتكون من خلال إشاعة المعروف والأمر به ومحاربة المنكر والنهى عنه قال تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)." أل عمران:١١٠ "، حتى تصبح محددات السلوك المقبول في المجتمع والسلوك المرفوض فيه جزء من معايير الضبط داخل المجتمع، أما الضابط الثالث فهو ضابط السلطة حيث تتولى تطبيق العقوبات الشرعية المقررة لأنواع المخالفات.وهذه الضوابط تتكامل لتحقيق المعاني الإسلامية لتصبح الحياة أقرب إلى الكمال والسعادة والحضارة والرخاء والطمأنينة. (٢٥)

وقد قسم بعض المفكرين الضبط الاجتماعي إلى نمطين :هما الضبط الشعوري والضبط اللاشعوري، ويسمى الضبط الداخلي وهو تلقائي نما تدريجياً وتلقائياً من خلال بعض التفاعلات الاجتماعية التي تبلورت ثم تصلبت تدريجياً فأصبحت قواعد راسخة وجزءاً لا يتجزأ من شخصية الفرد ،وهذا النوع من الضبط هو أفضل أنواع الضبط بسبب الطاعة الصادرة عن رغبة مما يسهل تطبيقه لأنه لا يحتاج إلى مؤسسات رسمية تشرف على تطبيقه ،وهو كما سبق " ضبط داخلي لا شعوري " يصدر عن مشاعر الفرد ورغبته وليس خوفاً من سلطة أو قانون معين ، ومثل هذا النوع

من الضبط تحكمه عوامل مختلفة كالدين والعادات والتقاليد والأعراف والقيم ،وقواعد السلوك في الأسرة وقواعد التعامل داخل المجتمع . ولكن يأتي الدين كذروة السنم في هذه العوامل ، رغم أن العديد من هذه العوامل يدخل في دائرة الدين لأن العادات والأعراف والقيم تعد مصدراً من مصادر التشريع في الدين الإسلامي . (٢٦)

المحور الثالث : ضبط سلوك المسلم استنادا إلى مرجعية القيم الإسلامية :

إذا كان للتربية أهداف كثيرة اجتماعية ومهنية وغيرها فإن الهدف الأول للقيم في الإسلام هو بناء شخصية المسلم بصورة متوازنة، ومن أجل تكامل النظرة الإسلامية إلى الحياة والوجود والمجتمع، جمعت التربية الإسلامية بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم، فهي تعني بالتربية الدينية والخلقية والصحية والجسدية، دون إعلاء شأن أي منها على حساب الآخر. ولذلك فإن التربية في المفهوم الإسلامي هي إعداد روحي ونفسي وفكري وجسدي للفرد بحيث يكون مؤهلاً لأداء رسالته في الحياة والمجتمع، والبناء الحضاري وفق القيم الـــخُلقية التي جاءت بها الرسالة الخاتمة .وهذا الإعداد الروحي والفكري ينبغي أن يعم المجتمع بأسره، وسنة الله في ذلك أن توجد روابط وعلاقات في الأسر والعائلات تسري منها إلى الفروع وإلى الأصول القومية ومنها تسري إلى مجموع الأمة والبشرية جمعاء. فهو إعداد يتحقق بمختلف الوسائل منها: القدوة الطيبة والموعظة الحسنة والتوجيه التربوي المنهجي والإرشاد العام، وهكذا يفتح الإسلام بالتربية مجالاً لتكامل الإنسان في ذاته ويحرره من التمزق والشتات ويمنحه نظرة وحدوية جامعة، سواء كان في نظرته للخالق سبحانه، أو لبني جنسه عامة أو لأمته الإسلامية خاصة. (٢٧)

ولقد عنى القرآن الكريم بتزكية النفس الإنسانية ، وجعلها من عوامل الفلاح ، كما جاء فى قوله تعالى: " نَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {٧} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا {٨} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {٩} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا" (الشمس ٧-١٠) ، وقوله تعالى : " قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى " (الأعلى : ١٤) .فالتزكية بالمعنى اللغوي هي: الإصلاح والتطهير والتنمية ، وهى بلغة التربية تعنى تعديل السلوك في الاتجاه المرغوب فيه ، حيث إن تزكية النفس تدفعها إلى السمو والاتجاه نحو تحقيق الفضائل . " والتزكية " بمظاهرها السلوكية في الشخصية المسلمة هي نتاج الإيمان، وما يترتب عليه من صدق العبودية لله وتناسق مهارات التفكير مع تطبيقات الجوارح وانفعالات الشعور التزاما بأوامر الله تعالى والعمل بشريعته وإصابة الحق والصواب في كل ميادين العبادة والعمل. فالتزكية في مفهومها الشامل تتضمن بعدين هما: تزكية النفس، وتزكية العقل. (٢٨)

ويتضمن المنهج الإسلامي لتزكية النفس تعريفا بأخطار القواعد الأربعة : النفس والشيطان والدنيا والهوى ، وبمداخلها على القلب وأثرها إن طغت على صاحبها في الإخلال بالعبودية وتعطيل الفهم وضعف البصيرة واضطراب السلوك والأخلاق ،وفى النهاية الانتهاء بالإنسان إلى الهبوط والانهيار والشقاء في الدنيا والآخرة . وفى الممارسات العملية المتعلقة بهذا الجانب يقرر المنهاج الذي يحدده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مجموعة من الممارسات التي تهدف إلى إيجاد نوع من الرغبة والرهبة بما يكفى لدفع المسلم لتطبيق التعاليم الإسلامية في واقعه . فالترغيب: هو

العنصر الذي يمثل القوة المحرضة والجاذبة لطريق الخير الذي يدعو إليه الإسلام. والترهيب: وهو العنصر الذي يمثل القوة الصادرة عن الانحراف في سبل الشر التي ينهى عنها الإسلام. (٢٩)

أما عن عملية تزكية العقل فإنها تعنى بتزويده بالأفكار الصحيحة حول أصول ومقومات العقيدة الإسلامية ، لينتهي العقل(بمدركاته ، والعمليات العقلية المختلفة) إلى الإقرار بوحدانية الله سبحانه وتعالى. (٣٠)

وهنا تأتى حكمة البيان القرآنى بتوجيه العقل إلى مشاهد الكون وبدراسة علمية منطقية ، تدرس العلاقة بين الأسباب والنتائج ، وتقيم البراهين على دلائل صحيحة، ثم لهذا العقل أن يجيب على السؤال: أإله مع الله ؟ فقال تعالى : " أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ {١٧} وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ {١٨} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ {١٩} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ". (الغاشية : ١٧-٢٠) .ومن جانب أخر فإن تزكية العقل تشمل (كذلك) تنمية المفاهيم العقيدية الصحيحة حول طبيعة الكون والإنسان والحياة والمصير .

واستنادا إلى ما سبق ، فإنه يتضح أن منهج القرآن في تربية الذات المسلمة في ميدان القيم وتعديل السلوك وتزكية النفس يبعث في وجدان الفرد المسلم دوافع السمو والالتزام بالقيم والاتجاه نحو فعل الخير ، وهنا تتجلى القيم الخلقية في أسمى معانيها كعناصر أساسية بها تستكمل الذات المسلمة حالة إنسانيتها. (٣١)

ويعد البناء القيمى والأخلاقي من مظاهر التعبير عن إنسانية الإنسان ،ذلك أنه من العوامل التي تحدد اختيارات الإنسان في مواقف التفاعل الاجتماعي ،حيث تتجه غايات الفرد بالمبادئ والقيم الخلقية الإسلامية تفصح قيمة الإيثار عن ذاتها في تأكيد العلاقة بين الحقوق والواجبات في النظام الاجتماعي ذلك أن حق الفرد هو مجموع واجبات والتزامات الآخرين تجاه هذا الفرد.هذا من جانب ،ومن جانب أخر فإن الذات المسلمة بمقتضى هذه الالتزامات تسعى إلى أن يكون الإطار العام لممارسة نشاطها وأفعالها هو مفهوم "العمل الصالح" بمعناها الشامل. (٣٢)

ولما كانت القيم والمعايير الخلقية تقايس بين مستويات السلوك والأفعال ،فإن الدلالة الحقيقية للقيمة هي أكثر ما تكون وضوحا في الحكم القيمى الذي يوجه سلوك الفرد وجهة معينة بما يتفق وطبيعة هذه القيمة .فالحكم القيمى ينجم عن ذلك الحوار بين البناء المعرفي للفرد والإدراك السيكولوجي لحقيقة ذلك الكل المركب الذي يقدمه الموقف الاجتماعي والعناصر المتضمنة فيه ،وهذا الإدراك السيكولوجي مستمد من القيم والمعايير التي يؤمن بها الفرد وينبغي أن يقع السلوك في نطاقها .وعلى ضوء هذه العلاقة التأثيرية بين الفرد والموقف تتحدد مسارات الفعل الخلقي . (٣٣)

يعد الدين أهم وأقوى وسيلة من وسائل الضبط ، من خلال ما يقوم به من وظائف في حياة الفرد والمجتمع واستقرار النظم الاجتماعية ، والدين نظام اجتماعي شامل لا يسمح لأي فرد أن يكون له رأيا خاصا فيه ، أو يسلك سلوكا خارجا عليه . فالدين يضبط سلوك الأفراد في المجتمع

بالثواب والعقاب لا في الحياة الدنيا فحسب بل في الدار الآخرة أيضا. فالتدين علاقة شخصية بين العبد وربه ، وجزاؤه مؤجل لما بعد الموت ، فإن المجتمع لا يترك الفرد لهذا الجزاء بل يوقع جزاءاته ويزاول ضغوطه بالتبشير والوعظ والتخويف ، ليصبح الدين بذلك أداة ضبط اجتماعي لها فاعليتها في ضبط سلوك الأفراد ، فحياة الجماعة والتنظيم الاجتماعي لا يمكن أن يستقرا بفعل قوة القوانين الوضعية فقط، بل لابد من الردع الروحي والإيمان بالقيم الاجتماعية والخوف من غضب الله ، وبالتالي يصبح لهذه السلطة الروحية قوة تفوق قوة القانون وأحكامه أو مظاهر السلطة المادية الأخرى. (٣٤)

فالدين يمارس ضبطا ذاتيا على الفرد ، من حيث تهذيب نفسه وتخليصها من شوائب السلوك اللاسوى وبخاصة السلوك الانحرافى ، بتوافر قدرة عالية لدى الفرد في ضبط النفس والسيطرة عليها ومحاربة نزعتها الشهوانية ، ولكنه في نفس الوقت يسعى لإحداث التوازن داخل النفس فلا يسعى إلى حرمانها من كل متطلباتها ، بل لابد من توفير ما تحتاج إليه من الضروريات كشرط أساسي لإصلاح الفرد وضبط سلوكه وتصرفاته ، فالخلق هو الدعامة الأولى لبناء المجتمع المتماسك عاطفيا وفكريا لتتحقق وحدة الجماعة وتكامل شخصيتها. (٣٥)

ويبرز أثر الدين بالأخص الدين الإسلامي كأداة ضبط فيما تشمل عليه من تعاليم تمثل في مجملها مجموعة من الضوابط تظهر في العبادات المتعلقة بالعلاقة بين العبد وخالقه سبحانه وتعالى ، وفى المعاملات التي تعكس العلاقة بين الأفراد .وقد كان الدين في السابق المصدر الأساسي للقانون ، وبالتالي فهو وسيلة ضبط مهمة فى المجتمع فالقانون المصري والبابلي والهندي و اليوناني كان ينظر إليه على انه من صنع الآلهة ، كما أن الكنيسة كانت في أوروبا قوة اجتماعية تفوق قوة الدولة ... وفى العصر الحديث على الرغم من أن الدين والدولة يعملان بشكل مستقل في كثير من دول العالم إلا أن الدولة يعملان بشكل مستقل في كثير من دول العالم إلا أن الدولة لا تزال تستند بسلطتها إلى الكثير من القواعد الدينية ذات التأثير الاجتماعي كأمور الزواج والأحوال الشخصية . (٣٦)مع أهمية الوحدة الإسلامية، فإن سنة الله قد قضت باختلاف الناس، فلم يفرض الوحدة الفكرية قهراً بأن جعل الناس على قالب واحد في الفكر والنظر، بل جعلهم على رؤى مختلفة ونظرات متباينة؛ إثراءً لساحة المعرفة وبناءً لصرح العلم. وأيضاً لم يجعل الله الناس متوحدين في وجودهم المادي من حيث الأشكال والألوان، آية للناس، كما لم يجعلهم متوحدين من حيث المكاسب والأرزاق دفعاً إلى السعي والتعمير .ومراعاة لهذه السنة وتأكيداً لها قال الله تعالى :" وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُون " (الزخرف:٣٣). وبهذا يتبيّن أنه إذا كانت وحدة المجتمع وضبط سلوك إفراده قيمة كونية فإن الاختلاف في الرأي والنظر قيمة إنسانية به تنهض الأمم وتبني الحضارات. (٣٧)

إن الإسلام في بنائه لمجتمعه يهدف إلى إقامة الحياة المتوازنة التي تتجلى فيها خصائص

الفطرة وتتسق مع دور الإنسان في الحياة ، على أساس نظرته للإنسان وإدراكه لرسالته، فهو يرى في الإنسان كائنا متميزا جمع إلى جانب طاقاته المادية التي تقتضى منه الالتفات إليها والاستجابة لندائها طاقات روحية تدفعه إلى غايات سامية . وعلى ذلك فإن المحاولات المختلفة لدراسة الطبيعة الإنسانية في الإسلام تبدأ من المنطلق الإسلامي بأن الإسلام هو خليفة الله في الأرض : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً..... " (سورة البقرة ، آية ٣٠) ومن هذا المنطلق تتحدد علاقات الإنسان المختلفة بما تتضمنه من قيم وما يترتب عليها من جزاء. (٣٨)

فالمنهج الإسلامي الصحيح يبدأ من النقطة التي يتضح فيها مركز الإنسان في الكون وغاياته في الحياة والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها وذلك بحسب التصور الإسلامي لرسالة الإنسان . فالإنسان ذو رسالة ، وهذه الرسالة هي المبرر الأساسي لاستخلافه ، وعلى حسن قيامه بها يتوقف الجزاء . والإنسان في الإسلام بوصفه خليفة في الأرض ، فإنه في تحقيقه لمهام الاستخلاف يؤدى واجباته نحو الله ، ولهذه المهام مظاهر متعددة وهى أداء الحق لله متمثلا في العبادات ، ومحاولة الوصول إلى المعرفة اليقينية بفضل ما وهبه الله من عقل ، والعمل الجاد بنية صالحة ، وتحصيل العلوم وتسخيرها في عمارة الأرض ، والدعوة لإقامة المجتمع الإسلامي ، ومحاولة التخلق بأخلاق ما يأمر به الله ، ويجعل الأخلاق الإسلامية هي المحور الأساسي في توجيه حياته .ولن يتحقق مضمون الخلافة في الأرض إلا إذا كان الإنسان في سلوكه وخلقه وعلمه وعمله على الصورة التي كرمه الله بها فيسمو إلى مصاف الصالحين الأبرار. (٣٩)

وخلاصة الأمر في هذه القيم المنهجية التي استهدف الإسلام بثها في كيان الإنسان المسلم أن الإسلام سعى بواسطتها إلى بناء الشخصية العقلية الذكية، القادرة على الاستفادة من كل ما زودت به من جوارح وإحساسات وملكات في إطار من الأصالة والمسؤولية، التي تغذيها القيمة الإيمانية بشكل يضمن عصمة الإنسان من الافتتان بفعل ما يتجمع بين يديه من إبداعات أساسها استخدام قوى العقل في تشكيل مادة الكون وطاقاته المسخرة. (٤٠)

حواشي الدراسة

١- سامح نبيه عبده حمودة : دور التربية الإسلامية في تنمية العلاقة بين قيم الإيمان وفعاليات السلوك ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، رسالة ماجستير غير منشورة ،٢٠٠٢ م ، ص٧.

٢- عبد الودود مكروم : الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦م، ص ٩.

٣- عبد الودود مكروم : المستقبل العربي مدخل في دراسة فلسفة التربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص٢٤.

٤- محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص٢٢.

٥- عباس مدني : التوعية التربوية في المراحل التعليمية في البلاد الإسلامية ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج ، ١٩٨٩م ، ص٢٠٢.

٦- عبد المجيد سيد منصور : طبيعة النفس البشرية وحاجتها للضبط الاجتماعي ، مجلة الأمن والحياة ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ، ٢٠٠٢م ، ص١٤٠.

٧- جابر عبد الحميد جابر وأحمد خيري كاظم : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص. ١٣٤.

٨- أبو اليزيد أبو اليزيد العجمي : موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ، جمهورية مصر العربية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، ٢٠٠٢م ، ص٢٣.

٩- سيد على شتا : علم الاجتماع التربوي ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، ١٩٩٧ م ، ص ٢٣٣.

١٠- عبد السلام الشبراوى عباس محمد : القيم التربوية في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٢م.

١١- محمود يوسف محمد محمود : التربية الإسلامية ومواجهة التحديات الثقافية في عصر العولمة ، مجلة علمية محكمة للبحوث التربوية و النفسية والاجتماعية ، كلية التربية جامعة الأزهر ، العدد ٩٧ ، فبراير ، ٢٠٠١م.

١٢- محمد حسن أحمد : العقيدة الإسلامية ودورها في التربية " دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم و السنة النبوية "، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٤م.

13- Bilton ,Tony et al . Introductory Sociology. Second Edition. Hong Kong : Macmillan, 1987 . (P.P 25 : 29).

14- Sochedina ,Ablaziz ." Muslim youth in 21 st century " . University of Virginia On line Available. (1 April) : http://people. Virginia.edu/ aas/article/article2.htm.

١٥- عبد الودود مكروم : الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة ، مرجع سابق ، ص٢٠١.

١٦- يوسف القرضاوى : قيمة الإنسان وغاية وجوده فى الإسلام ، دار الصحوة ، القاهرة ، طـ٢ ، ١٩٩٥م ، صـ ٧٠.

١٧- عبد الودود مكروم : الطبيعة الإنسانية فى الإسلام ، مدخل لدراسة الشخصية الإنسانية ، مظاهر البناء وفعاليات السلوك، مجلة كلية التربية ، جامعة المنصورة ، العدد ٢٧ ، يناير ١٩٩٥م.

١٨- محمد سعيد البوطى : الإسلام ملاذ كل المجتمعات ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، طـ٢ ، ١٩٩٣م ، صـ ٩٦.

١٩- ماجد عرسان الكيلانى : مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح ، مؤسسة الريان ، السعودية ، ١٩٩٦م ، صـ ١٩ .

٢٠- محمد فريد حجاب : التربية الإسلامية بين العقيدة والأخلاق ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص٣٤.

٢١- محمد الغزالى : تأملات فى الدين والحياة ، نهضة مصر ، القاهرة ، طـ٤ ، ٢٠٠٥م ، صـ ٤٨ .

٢٢- محمد يوسف موسى: الدين والأخلاق، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٩٢، صـ ١٩.

٢٣- سامح نبيه عبده حمودة :دور التربية الإسلامية فى تنمية العلاقة بين قيم الإيمان وفعاليات السلوك، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، ٢٠٠٢ ، صـ ١٢٣.

٢٤- مروان إبراهيم : " منظومة القيم الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، مجلة دراسات ، المجلد ٢٢ ، العدد السادس ، عمان ، ١٩٩٥م.

٢٥- محمد عابد الجابري:المثقف فى الحضارة العربية ، مركز دراسة الوحدة العربية ، بيروت ، طـ ٢ ، ٢٠٠١ ،ص٥٢.

٢٦- خالد بن عبد الرحمن السالم : اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية العامة بمدينة الرياض نحو أساليب الضبط الاجتماعي السائدة في أسرهم وعلاقتها بالتماسك الأسرى ،رسالة ماجستير منشورة ، جامعة الملك سعود ،كلية التربية،الرياض، ٢٠٠٠م ، صـ ٣٧ .

٢٧- أحمد سيد خليل : "متطلبات التربية للحياة الآخرة فى ضوء المعرفة ببعض القضايا الأخروية" مجلة كلية التربية بأسيوط، العدد ١٣ ، ١٩٩٧م.

٢٨- أمينة أحمد حسن : نظرية التربية فى القرآن وتطبيقاتها فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٢٠٣.

٢٩- محمد البهي : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر ، دار التوفيق النموذجية ، القاهرة ، ١٩٨٢م ،، ص ٤٣ .

٣٠- أمينة أحمد حسن : مرجع سابق ، ص٢٠٣ .

٣١- عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص١٦٠ .

٣٢- سامح نبيه عبده حمودة : مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

٣٣- عبد الودود مكروم : "سلوك الشباب المسلم بين قيم الإيمان وفعاليات السلوك الواقع" – والمأمول ،من بحوث المؤتمر العالمى الثامن للندوة العالمية للشباب الإسلامى ، الشباب المسلم والتحيات المعاصرة ، الأردن ، ١٩٩٨ م.

٣٤- سلوى على سليم: الإسلام والضبط الاجتماعى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،١٩٨٥م ، ص٦١.

٣٥- محسن عبد الحميد: الإسلام والتنمية الاجتماعية، دار المنارة، جدة، ١٩٨٩ م، ص١٦.

٣٦- فتح الباب عبد الحليم سيد أحمد : التربية فى القرآن والسنة ، الغايات والأهداف ، عالم الكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص ٨٨ .

٣٧- عبد الفتاح عاشور : المسلم فى عالم اليوم ، مطبعة الفجر الجديد ، القاهرة ، طـ٢ ، ١٩٩١م ، ص٦٢.

٣٨- مقداد يالجن : منابع مشكلات الأمة الإسلامية والعلم المعاصر ودور التربية الإسلامية وقيمها فى معالجتها ، عالم الكتب، الرياض ، ١٩٩١م ، ص٩١.

٣٩- فهمى محمد علوان : القيم ومقاصد التشريع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩م، ص٦٨ .

٤٠- مروان إبراهيم :" منظومة القيم الاسلامية كما تحددت فى القرأن الكريم والسنة الشريفة" ، مجلة دراسات ، السلسلة ٢ ، المجلد ٢٢ ، العدد السادس ، عمان ، ١٩٩٥م.